

المعنويات والعواطف المؤمنة

في الشعر العربي قبل الإسلام

د. سؤدد يوسف عبد الرضا الحميري* 

● المقدمة .

شكلت أنسنة المعنويات والعواطف الإنسانية ملمحاً بارزاً في علاقة الشعراء بهما والتي تجسدت بإضفاء الصفات الإنسانية عليهما -بوساطة الأنسنة - فتراهما بهيئة إنساناً ناطقاً ، متحركاً، طافحاً بالمشاعر والأحاسيس الإنسانية. فبرزت الأنسنة في الشعر العربي قبل الإسلام على المعنويات بل شملت حتى العواطف الإنسانية .

ويتضمن البحث المحاور الآتية: المقدمة، توطئة.. المعنويات والعواطف الإنسانية رؤية فكرية ، والمحور الأول من البحث .. أنسنة النفس ، والمحور الثاني .. أنسنة الحب والهوى والشوق ، المحور الثالث.. أنسنة الطيف والخيال، المحور الرابع.. أنسنة الصبر والجود، وصولاً إلى خاتمة، وثبتاً بأسماء المصادر والمراجع. ويهدف البحث إلى توضيح البواعث وراء أنسنة الشعراء المعنويات والعواطف الإنسانية في أشعارهم، وأثر ذلك في قصائدهم ، فبثوا في تلك القصائد أرقى وأروع المشاعر.

*المديرة العامة لتربية بغداد الكرخ / الثانية

توطئة.. المعنويات والعواطف الإنسانية، رؤية فكرية

إن أنسنة المعنويات في الشعر العربي قبل الإسلام لم يكن مقتصرة على المعنويات كالزمن، أو الموت، أو الحرب فحسب، بل تعدها إلى ما هو أكثر من ذلك، فقد وجدنا - من خلال الإطلاع على دواوين شعراء ذلك العصر- عشرات المعنويات، التي أضفيت عليها الصفات الإنسانية -بوساطة الأنسنة- شاخصة بالإحساسات والمشاعر الإنسانية المختلفة.

وفي الوقت الذي تعرفنا فيه على الأسباب التي دعت الشعراء إلى أنسنة المعنويات السالفة الذكر، ومدى إفادتهم من أنسنتها في أغراضهم الشعرية المتعددة، كان لا بد لنا - في الوقت نفسه- من معرفة الأسباب التي دعت الشعراء إلى أنسنة المعنويات المتعددة الأخرى.

ولكن قبل ان نحاول معرفة تلك الأسباب - من خلال الشعراء أنفسهم - تجدر الإشارة إلى قضية مهمة، وهي إننا سنقوم - في هذا المبحث - بدراسة تلك المعنويات ومتابعتها بحسب ورودها كثرة أو قلة فنندرج من الكثير إلى القليل، ثم إلى الأقل، لأن هناك أموراً معنوية أنسنت بكثرة، أي أن هناك تركيزاً عليها من لدن الشعراء، في حين كانت هناك أمور أخرى أقل أهمية منها، إذ لم تحظ أنسنتها إلا بنصوص محدودة، وبمقابل ذلك وجدنا أموراً معنوية كثيرة لم تؤنسن إلا في نص واحد، لدى شاعر واحد، لذا أرى ان من الواجب البدء بدراسة أنسنة المعنويات المختلفة من الأكثر

إلى الأقل. وكان القدر المعلى -في أنسنة المعنويات- من نصيب النفس.

* أنسنة النفس..

وقد تعددت المصطلحات المعنوية التي جعلها الشعراء الجاهليون تتحاور معهم، لأسباب سنأتي على ذكرها، ومن الملفت إلى الانتباه ان الشعراء جعلوا النفس تقول وتشتهي وتحفز وتصبر وتجزع وتتذكر وتخاف وتحذر وتعجب.. لتدل على صحة ما يذهب إليه الشاعر.

إذ يستنطق النابغة الذبياني النفس في حوار شعري يقول فيه:

وكان ضمراً منه يُوزَعُه

طعنَ المَعَارِكِ عندَ المَحْجَرِ النَّجْدِ

.....
لما رأى واشقُ أقعاص صاحبه

ولا سبيل إلى عقل ولا قود

قالت له النفس: إنني لا أرى طمعاً

وإن مولاك لم يسلم ولم يصد^(١)

إن اضافة صفة الحوار على الحيوان -هو الأنسنة بعينها- وكان حواراً يَمُور في نفس ذلك الكلب، جاعلاً النفس إنساناً ناطقاً؛ لأن النطق مختص بالإنسان دون سائر المخلوقات ليرتقي بالنفس إلى مستوى الطبيعة الإنسانية وقوله (قالت له النفس: أني..) ليبدو لنا أمر في غاية الأهمية، وهو «أن حوار المعنويات - ومنها حوار النفس- ربما يكون أكثر إبداعاً - من الناحية الفنية- من حوار المحسوسات الواردة الذكر سالفاً، والسبب في ذلك هو ان المحسوسات تبدو إلى الناظر أجساماً بأبعاد،

وحدود مُدرّكة، فيستطيع ان يراها، بعينيه، ويتحسسها بيديه، أو ان يشعر بوجودها عن طريق حواسه المعروفة الأخرى، لذا يغدو أعطائها صفة النطق أمراً يمكن تقبله من لدن المتلقين بصورة أو بأخرى، غير أن الأمر لا يكون كذلك مع المعنويات، فأعطائها صفة الكلام يبدو أكثر غرابة من ذلك، لأنها لا تُرى بالعين، ولا تلمس باليد، ولا يمكن إدراكها - مطلقاً- إلا عن طريق العقل والمخيلة، ولذلك فإن إضفاء الكلام إلى أمر معنوي، لا يكون ماثلاً أمام الشاعر، أو المتلقي، يكون دليلاً على سعة المخيلة الشاعرة من جانب ورمزاً يدل على إبداعها من جانب آخر^(٢) فضلاً عن القدرة الشعرية الإبداعية للشاعر المعني باستكناه المشاعر والمعاناة في إطار الصورة الشعرية حيث برز الشعور النفسي في هذه اللوحة الشعرية، وكان جوهر هذه الصورة ولبها الانسنة -أو انسنة النفس- والارتقاء بها إلى آفاق المشاعر الإنسانية، بعد القرار الذي اتخذته الكلب وأشق بعد ان شاهد الطعنات التي حظي بها الكلب ضمران، وحدثته نفسه باليأس وإلا سبيل إلى دية أو قصاص بعد تيقنه أن صاحبه لم يسلم ولم يصد^(٣) عن مدح مقرون باعتذار للملك أثر جفوة بين الشاعر وملكه. ومن الواضح ان حوار النفس -في أبيات النابغة الذبياني- أمتاز بلغة انفعالية شديدة، بدأ -من خلاله- رأي الشاعر في خصومه الحساد.

ولكن انطاق النفس عند طرفة بن العبد يكون مختلفاً عن انطاقه عند النابغة الذبياني، لأن طرفة يجعل حوار النفس ذا دلالة على

ظلمه وقسوته لأنه لم ينل ما كان يطمح إليه من تحقيق الجاه والسيادة، اللتين كان يرغب في تحقيقهما، لذا فإن حوار النفس -لديه- يأتي ممزوجاً بشكوى مريرة جعلته يتوهم ان النفس تشكي فيقول:

وتشكى النفس ما صابَ بها

فأصبري إنك من قوم صُبر^(٤)

إذ تبرز شجاعة وصبر الشاعر، حينما تحاوره النفس ويستمتع لشكواها فيرد الشاعر على شكواها في حوار يفصح فيه عن صبره وهو يقول للنفس (فأصبري)، فهو يخاطب النفس وكأنها إنساناً ماثلاً أمامه، مرتقياً بالنفس إلى منزلة الطبيعة الإنسانية من خلال انسنة النفس وجعلها تشكو وما كان ليتراءى لنا ذلك لولا الانسنة.

ولابد ان يكون الحوار معبراً عن الأعماق البعيدة في النفس الإنسانية لذا وجدنا هذه الصفة ماثلة في حوار النفس عند أوس بن حجر الذي كان يفصح عن حزنه من أعماق نفسه الدفينة على فقيدته فضالة بن كعدة الأسيدي، فقال مخاطباً النفس:

أيتها النفسُ أجْملي جَزَعاً

إنّ الذي تحذرينَ قدَّ وَقَعَا^(٥)

يبدو ان الشاعر ومن خلال انسنة النفس بهذه الصورة كان يواسي نفسه ويحملها على التصبر، وقد أفصح عن ذلك من خلال الحوار الشعري المتخيل بينه وبين النفس، حيث أسقط مشاعر الجزع التي كانت تنتابه على النفس ومخاطبتها بأن تتحمل وتصبر جزعاً، إنما هو خطاب الشاعر لنفسه علّه يهدأ ويخفف من الحالة النفسية المضطربة



الحزينة التي كانت تنتابه على فقيده.

وان الحالة النفسية المضطربة التي كان يشعر بها لبيد بن ربيعة جعلته لا يكتفي بالجزع واليأس فحسب، بل جعلته يكذب النفس إذا حدثها كما يدعي في قوله:

وَأَكْذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا

إِنَّ صَدْقَ النَّفْسِ يُزْرِي بِالْأَمَلِ (٦)

نلاحظ ان الشاعر وقبل ان يدخل في حوارهِ وحديثه مع النفس، يبدأ بتكذيب النفس تكديباً ليعبر من خلال تكذيب النفس عن مرارته بسبب أفعالها وعدم التزامها معه في صدق المقال؛ لأن صدق النفس يرزى بالأمل وهو بذلك يعكس مشاعره تجاه هواجس نفسه في تلك الانسنة.

وتجعل الخنساء النفس تحفز فتقول:

حُضِبَ السَّنَانُ بَطْعِنَةً

فَالنَّفْسُ يَحْفَزُهَا النَّفْسُ (٧)

وفي خطاب شعري آخر تجعل الخنساء النفس تصبر وتجزع في مقابلة شعرية تقول فيها.

فان تصبر النفس تُلقِ السُّرُورَ

وان تجزع النفس أشقى لها (٨)

انسنت الشاعرة النفس من خلال إضفاء صفة الصبر والجزع عليها، ذلك ان تصبر النفس سوف تلقي السرور وان تجزع النفس مما يشقي الحياة لذا يبدو ان آراء الشاعرة في النفس كانت خاضعة لعوامل نفسية أوجدتها رحلتها مع الحياة وفقدان أحببتها، فقد كانت النفس تلاقىها بالصبر حيناً وبالجزع حيناً آخر.

ويستنطق المرقش الأكبر النفس في

خطاب شعري يقول فيه:

إذا ذكرتها النفسُ ظلت كأنني

يزعزني قفقاف وردٍ وصالبه (٩)

وهو يفصح عن شدة شوقه من خلال انسنة النفس وإضفاء التذكر عليها، واضطرابه وشدة حرارته مع رعدته حال سماع اسم محبوبته أو ذكرها.

وفي خطاب شعري آخر يجعل عمرو بن قميئة النفس تتيقن ان لا خلود في هذه الحياة أن كبر وتقدم به العمر فقال:

كبرتُ وفارقني الأقربو

ن، وابقنتِ النفسُ الا خلودا (١٠)

وذهب بعض الشعراء إلى المبالغة بما هو أكثر من ذلك، فتوجهوا إلى الانسنة، إذ كانت النفس طرفاً فيها أيضاً، ثم بدؤوا يعتقدون موازنات بين النفس وممدوحهم، يظهرن فيه الممدوح أشد بأساً من النفس، وذلك ما نتلمسه في قول طرفة بن العبد:

وَجَاسَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ خَوْفًا، وَخَالَه

مُصَابًا، وَلَوْ أَمْسَى عَلَى غَيْرِ مَرْصِدِ (١١)

فالشاعر يجعل النفس خائفة من ممدوحه، وفي ذلك دلالة على قوة الممدوح، وشدة بأسه إلى درجة تغدو النفس فيها مذعورة منه.

وتكاد الصور تتكرر -بشكل أو بآخر- في جعل الممدوحين يظهرن بهيأة أعظم مما هي في الواقع، وهذا ما دفع الأعشى إلى انسنة النفس من خلال إضفاء الإعجاب عليها إذ يقول:

إلى بيت من يعتريه الندى

إذا النفسُ أعجبها ما لها (١٢)

فنراهم يمنحون النفس صفات لا يتسم

بها إلا الإنسان في الحقيقة ومن تلك الصفات الحذر كقولهم (تحذر النفس) ^(١٣)، والسير كقولهم (تسير النفس) ^(١٤) وغيرها من الصفات.

* انسنة الحب والهوى والشوق..

وكانت تباريح الحب التي يشعر بها بعض الشعراء في العصر الجاهلي تجعلهم يؤنسون الحب، أو الهوى، من خلال إضفاء سمات الإنسان عليه فيجعلونه -في بعض الأحيان- قاتلاً يقتل، وهو ما عبر عنه امرؤ القيس في قوله (حبك قاتلي)، وأن سعة خيال الشاعر هي نفسها التي دفعته إلى تصور القلب كائناً حياً، فهو يمتلك صفات بشرية كالتي امتلكتها المعنويات الأخرى -ومنها الحب- ويبدو ذلك جلياً في قوله (تأمري القلب) فهي مفتاح الأنسنة، فهو حين يؤنسن القلب، يجعله خاضعاً لأوامر محبوبته ليدل على شدة حبه لها، وتعلقه بها، وانقياده لها، لذا فهو يفعل ما تأمره فيقول:

أغرك مني أن حبك قاتلي

وإنك مهما تأمري القلب يفعل ^(١٥)

وجاءت بعض المعنويات -ومنها الهوى- متحاورة مع الشاعر في غرض الغزل لبيان لوعة الشاعر، وعكس مشاعره تجاه الحبيبة، ومن تلك المعنويات (الهوى)، إذ دخلا في حوار يتسم بطابع الهدوء في لغته، قصد الشاعر -من ورائه- التعبير عن تمسكه بتلك الحبيبة ومنه قول امرئ القيس:

ليالي يدعوني الهوى فأجيبه

وأعين من أهوى إليّ روان ^(١٦)

كما صور بعض الشعراء الهوى وكأنه يدعوهم بنفسه بعد أن تنكرت المنازل واستجھلتهم ومنهم النابغة الذبياني الذي صور لنا الهوى وكأنه إنسان يدعوهم بعدما تنكرت له المنازل، مستنطقاً إياه ومضيفاً عليه إحدى أهم الصفات الإنسانية وهي النطق، مرتقياً به إلى مستوى الطبيعة الإنسانية نطقاً فيقول:

دعك الهوى، واستجھلتك المنازل

وكيف تصابي المرء والشيب شامل ^(١٧)

وكان الهوى من المعنويات التي انطقت وانست من لدن الشعراء الجاهليين علماً أن انطاقه من لدن شعراء آخرين، ولم يكن قصد الشاعر -من انطاق الهوى- إلا لبيان لوعته حين أسرع إليه وتابعه، ولذا تصوره الشعراء بصورة الإنسان الذي يشهر سيفه فينلهم به، فـ(عنتره) -مثلاً- أحد الشعراء الذين نالهم الهوى بسيفه، وهو قتيل غرام، لأنه لقي منه كل ما يمكن أن يلقاه من طعناته فقال:

الا قاتل الله الهوى كم بسيفه

قتيل غرام لا يؤسد في اللحد ^(١٨)

نجد ان الشاعر في هذه الصورة الشعرية يدعو على الهوى وكأنه يدعو على إنسان لأنه يقتل العشاق ويبرز ذلك من خلال مخيلته الإبداعية التي صورت الهوى على هيئة إنسان قاتل يتقصد العشاق ويتعمد قتلهم، مؤنسناً الهوى ومرتقياً به إلى مستوى الطبيعة الإنسانية.

ولا يفوتنا أن نشير إلى أنسنة الحب والهوى، لم يرد عند الشعراء إلا في غرض الغزل، من دون غيره من سائر الأغراض، ولعل ذلك يرجع



إلى ان الشاعر في الغزل يخاطب الحبيبة، فيبث لها شكواه من فعل الحب به، وقد يببالغ في ذلك، فيجعل الهوى يموت كما يموت أصحابه العشاق، فالهوى كما صورته مخيلة طفيل الغنوي أحد أصحاب الشاعر العشاق، وقد مات لما أصبت مقاتله فقال:

ولمّا التقى الحيان القيت العصا

ومات الهوى لما أصيبت مقاتله^(١٩)

وكانت الأشواق التي قيل في وصفها، ووصفت آثارها الكثير، أمراً معنوياً آخر يؤنسن من لدن بعض الشعراء، إلا أن أكثر أنسنة وردت للشوق كانت تأتي في غرض الغزل، فيصور الشاعر مشاعر الشوق إلى درجة تجعله يؤنسن الشوق، جاعلاً إياه كاتباً يكتب كما فصل عنتره حين جعل الشوق كاتباً في قوله:

وقفت به والشوق يكتب أسطرا

بأقلام دوعي في رؤسوم جناني^(٢٠)

وتزداد المعاناة - معاناة الشعراء العشاق -

من الشوق، ومنهم عنتره، الذي يصور لنا مشهداً وهو يقاتل أشواقه، وهو بذلك يجعل الشوق قاتلاً، لأنه يقاتل الشاعر ولا ينوي إلا قتله كما يقوله:

أقاتل أشواقني بصيري تجلداً

وقلبي في قيد الغرام مقيداً^(٢١)

وعنتره في هذا المشهد يبدو عاشق شجاع بصبره مثلما هو فارس شجاع بالمعركة لأنه تسليح ولبس درعاً من الصبر في مواجهة جيش الشوق كما يقول:

لبست لها درعاً من الصبر مانعاً

ولاقيت جيش الشوق منفرداً وحدي^(٢٢)

وهنا تبرز شجاعة عنتره فهو لم يلاق قاتلاً واحداً وإنما أخذ يواجه ويقاوم جيشاً من الشوق منفرداً وحده متدرباً بصبره في مقابل شوقه وكما عهدنا عنتره فارساً شجاعاً في المعارك يواجه جيش الأعداء نراه في هذا المشهد عاشقاً شجاعاً يلاقي جيش الشوق منفرداً وحده، إلا أنه يبدو انهزم في ملاقاته أشواقه بذلك الجيش قبالة شاعراً منفرداً وحيداً متسلحاً ومتدرباً بدرع من الصبر فالكثرة تغلب شجاعة الشجعان ويبدو أن هذا ما حصل له فحبه لعبلة وشوقه لها يفوق صبره عنها.

ولكثرة المصائب التي كانت تحل بالشعراء، والهموم التي لا تكاد تتوقف عنهم، انسن الشوق وبدأ شاخصاً بصورة الإنسان الرامي، الذي يرمي نحو هدفه بمهارة كبيرة كما يقول عدي بن زيد:

أُتَعْرِفُ رَسْمَ الدَّارِ مِنْ أُمِّ مَعْبِدٍ

نعم فرماك الشوق بعد التجلِدِ^(٢٣)

ويبدو ان إضفاء صفة الرمي على الشوق، كانت بسبب تعدد أحداثه وأثاره الظاهرة بصورة مستمرة، لذا تصوّره الشعراء بصورة الإنسان الذي يرمي، وعدي الذي كان يستهين بالشوق، ولا يخشاه، لأنه لقي كل ما يمكن ان يلقاه من مصائبه، كان يتهم الشوق بأنه يرميه بعد التجلد، إلى درجة انه لم يبق في قلبه موضع إلا أصابه الشوق.

وإذا كانت الحالة النفسية المتأزمة عند بعض الشعراء، تدعوهم إلى أنسنة الشوق بتلك الصور والصفات، فأنا الانفعال - هو الآخر - الذي يمرّ به بعض الشعراء في لحظات

لعل لقاء في المنام يحدث ويلتقي حبيبته ولو طيفاً شاخصاً.

ويبدو ان ما يتمناه الشاعر ويترجاه قد تحقق عن طريق أنسنة الطيف إذ بدأ الطيف شاخصاً في هيئة المحبوبة (عبلة) تزوره في المنام، ولم يكتفِ بذلك وإنما جعل طيفها يقبله ثلاثاً كما في قوله:

أتاني طيف عبلة في المنام

فقبلني ثلاثاً في اللثام^(٢٦)

وتبرز بعض الصور الشعرية، التي تؤنس فيها المعنويات، على قدر بالغ من الإبداع، والتأثير الفنيين في المتلقي أكثر من غيرها، كالصورة التي يؤنس فيها الخيال، إذ يتسم بصفة إنسانية رائعة، وذلك حين يُمني الشاعر نفسه بزيارة خيال محبوبته ولو مرة في كل شهر لاكتفى كما يقول عنتره:

أيا عبل لو أن الخيال يزورني

على كل شهر مرةً لكفاني^(٢٧)

ويتحقق للشاعر ما يتمنى حين قيام خيال محبوبته عبلة بزيارته في المنام كما في قوله:

زارَ الخيالُ خيالَ عبلة في الكرى

لميتم نشوان محلول العرى^(٢٨)

وربما كان قصد الشاعر -من خلال أنسنته الخيال بتلك الطريقة- التعبير عن شدة لوعته في ظل بُعد المحبوبة، الذي يُعدُّ سبباً رئيساً في شقاء الشاعر. لذلك حاول ان يخفف من شدة حزنه ولوعته وذلك بجعل الطيف طيباً يشفي ويداوي فؤاده الكئيب كما يقول:

ان طيف الخيال يا عبل يشفي

ويداوي به فؤادي الكئيب^(٢٩)

وهنا تبرز قدرة الشاعر الإبداعية وبراعته في

معينة، إزاء مواقف معينة، كان سبباً آخر من أسباب أنسنة الشوق، فكلما يكون الموقف الذي يمر به الشاعر مؤلماً، يكون الانفعال كبيراً ولحظة الانفعال تؤدي بالشاعر إلى ان يشخص الشوق -بسبب عدم عدالته- بإنسان ظالم وهو ما فعله لبيد بن ربيعة العامري في قوله:

وَقَدْ زَوَدَتْ مِنَّا عَلَى النَّأْيِ حَاجَةً

وَشَوْقًا لَوْ أَنَّ الشَّوْقَ أَصْبَحَ عَادِلًا^(٢٤)

فالتوتر الذي صاحب الشاعر لحظة قوله هذا البيت، ربما يكون سبباً في رؤيته الشوق بهذه الصفة (الظلم)، لأنه نعت الشوق بقوله (لو أن الشوق أصبح عادلاً) فهو يريد شوقاً يتمتع بصفة العدالة، أما شوقه فهو على العكس من ذلك تماماً لأنه لا يقترب من العدالة، فهو ظالم، غير عادل في حكمه.

*** أنسنة الطيف والخيال..**

إن سعة خيال الشعراء هذه، كانت هي نفسها التي دفعت بعضهم إلى تصور الطيف أو الخيال كائناً حياً، فهي تمتلك صفات بشرية كالتي امتلكتها المعنويات الأخرى، لذا برز الطيف زائراً يُسلم على عنتره كما في قوله:

وان نام جفني كان نومي علالة

أقول: لعل الطيف يأتي يُسلم^(٢٥)

ومن الطريف ان عنتره يستنطق الطيف معطياً إياه صفة النطق، إذ يجعل الطيف (يسلم)، وربما يكون أنسنة الطيف التي لازمته أكثر روعة، إذ عاملها كأنها إنسان يقوم بزيارته ليلاً، لأنه دائم السهر والأرق من شدة الشوق لمحبوبته، ولا ينام ليله إلا ما يتعلل به



به فهو يجد الفكك منها في ركوب ناقته
الشديدة الموثقة الخلق كأنه يقدم تلك الناقه
للهوم قرى.

* أنسنة الصبر والجود..

إن من الأمور الملفتة للانتباه حقاً هي
أن الكثير من المعنويات التي انسناها الشعراء
الجاهليون، كانت تدل على قيم رفيعة، ومثل
عالية، وقد كان الصبر واحداً من تلك المثل، إذ
برز حاملاً صفات بعض البشر حينما يحدثون
ضحيجاً، مضفياً الضجيج إلى الصبر كما في
قول عنتره:

سأصبر حتى تطرحني عوازي

وَحَتَّى يَضْجُ الصَّبْرُ بَيْنَ جَوَانِبِي^(٣٣)
فالشاعر يفتخر بهذه الصفة الإيجابية لديه،
فيدعي أنه سيبقى صابراً إلى الدرجة التي
يضج فيها الصبر بين جوانبه، غير أن بعض
الناس بعامة والشعراء بخاصة لا يستطيعون
التمسك به عند شدة البلوى. وتصل المبالغة
بأبي خراش الهذلي -في أنسنة الصبر- إلى
درجة أكبر من التي جاء بها عنتره، حين
يستنطقه، فهو يمنح الصبر صفة النطق
فيأبى الصبر فيقول:

أبى الصبر أني لا يزال يهيجني

مبيت لنا -فيما خلا- ومقيل^(٣٤)
ومما لا شك فيه، ان في إضفاء صفة الرفض
على الصبر، ما يؤكد عدم صبر الشاعر غير
الاعتيادي، الذي جعل الصبر نفسه يأبى.
وقد انسن الشاعر هنا الصبر بصفة الرفض،
والشاعر لا يزال يهيجه مبيت له خلا، فيأبى
الصبر مساعدته في ذلك.

التخيل، ولا بد لنا من الإشارة إلى أن الشاعر
الغد هو من استطاع توصيل تجاربه الحياتية
بمنتهى القوة النافذة، وبغاية الدقة والوضوح،
مع التصوير الدقيق للتفاصيل الخفية، من
خلال استخدام اللغة في أسمى منازلها، وفي
كامل قوتها^(٣٥)، وما كان ليتراءى لنا ذلك
لولا الأنسنة. وأبرز شاعر يمكن ان ينطبق
عليه ذلك الوصف -فيما يتعلق بأنسنة طيف
الخيال- هو عنتره، لأنه استطاع ان يكشف لنا
عن تجربته الخاصة العاطفية مع محبوبته
عبله من خلال أنسنة الخيال.

ويبدو ان زيارة خيال المحبوبة كان مما
يثير الحفيظة لدى البعض من الشعراء ويثير
غضبهم، مما دعاهم إلى الانفعال ونهيه عن
زيارتهم، ومنهم الأعشى الذي يخاطب خيال
محبوبته، وكأنه إنسان عاقل يعي ويفهم ما
يقال له وينهاه عن زيارته فيقول:

فانهي خيالك أن يزور فأنه

في كل منزلة يعود وسادي^(٣٦)
وننتقل من أنسنة الخيال إلى أنسنة الهموم،
التي اتخذت -هي الأخرى- سمات إنسانية،
من خلال أنسنة بعض الشعراء لها، فقد
كانت تبدو للأعشى كأنها حياً لا ينقصه شيء
(إنساناً) يكرمه ويقريه فيقول:

وقد أقرى الهموم إذا اعترتني

عذافرة، مضرة، عقاما^(٣٧)
فهنا يخلع الشاعر على الهموم صفات
إنسانية خلقية، فالقرى (الكرم) مما يكثر
الحديث عنه بين العرب، وكان ذلك في صنع
الأنسنة الطريفة (يقري الهموم)، وهي تعكس
إيجابية الشاعر في دفع همومه إذا حلت

وكان للجود نصيبٌ في أنسنة المعنويات، إذ نال الجود حظاً لا بأس به من الأنسنة، فكان يكتسب صفات الإنسان، عند الشعراء الجاهليين.

إلا أن الأمر الملفت للانتباه، في أنسنة الجود، هو إنني وجدته لا يؤنسن إلا في أغراض محددة، هي المديح والفخر والرتاء.

ففيما يتعلق بغرض الرثاء، نجد أن الجود قد سُخِّص على هيئة إنسان، في قول الخنساء وهي ترثي أخاها صخرًا، مضمفية رابطة الأخوة بين الجود وصخر، جاعلة من صخر أخو للجود وذلك في قولها:

وَلَا يُبْعِدَنَّ اللَّهُ صَخْرًا، فَإِنَّهُ

أَخُو الْجُودِ يَبْنِي لِلْفَعَالِ الْعَوَالِيَا (٣٥)
والصورة في هذا البيت - نقلت إحساس الشاعرة، وذبذبات نفسها، تجاه مرثيها وممدوحها- في الوقت ذاته- نقلًا أمينًا إلى درجة جعلتنا نتصور أن الجود أخو صخر في الكرم.

وإذا انتقلنا إلى أنسنة الجود في غرض الفخر فإننا سنجد أن الجود يتمثل بصورة إنسان حكم يُستشار يعي ويفهم ما يقال له ويطيع، مما يدعو إلى خشية البخل منه، وترك البخل وعدم استشاراته وذلك ما نجده في قول حاتم الطائي، الذي يؤنسن فيه هذين المتضادين وأعني بهما الجود والبخل:

أَشَاوَرُ نَفْسَ الْجُودِ، حَتَّى تَطِيعَنِي

وَأَتْرِكُ نَفْسَ الْبَخْلِ، لَا اسْتَشِيرُهَا (٣٦)
ويبدو أن الذي جعل الشعراء الجاهليين يؤنسون الجود ويشخصونه على هيئة إنسان في أغراض المديح والرثاء والفخر فقط، هو

أن الجود كان هوية الإنسان العربي التي يُعرفُ بها، منذ أقدم العصور، فقد كانت طبيعته الأولى الكرم، لذا كان الأولى بالشاعر أن يمدح نفسه بفخر أن يمدح بالجود، أو أن يرثي بها ميتاً ويمدحه فالأولى به أن يفتخر بها، فصفة الكرم يعتز بها كل إنسان.

وبذلك تبيّن لنا أن اعتزاز الشعراء بصفة الكرم والجود هو الذي دعاهم إلى أن يتصوروا الجود إنساناً شاخصاً أمامهم يؤاخونه، ويستشيرونه، ولذا نراهم ينسبون له الصفات الإنسانية عبر الأنسنة.

وتتعدد المعنويات التي تكتسب صفات الإنسان في الشعر الجاهلي، وتتنوع تنوعاً عجبياً، فلا تكاد يربطها رابط أو يجمعها هدف واحد، فهي مختلفة الدلالات ومتضاربة المضامين، كما رأينا من خلال دراسة المعنويات آنفة الذكر.

ولابد من القول: أن المعنويات الأخرى، التي سأقوم بدراستها فيما سيأتي، تشترك بصفة واحدة، وهي صفة الندرة في أنسنتها عموماً، إذ تقتصر أنسنتها عند شاعر أو شاعرين فقط، من مجموع العشرات من الشعراء الجاهليين، الذي حددناهم ضمن المدة المقررة زمنياً لدراسة هذه الظاهرة.

وان هذه المعنويات -التي سأذكرها- لا تشكل ظاهرات بارزة، غير إنني فضلت متابعتها ودراستها، لأن المنهج الذي أتبعته يحتم عليّ بحثها، بوصفها ضمن دراسة الأنسنة، فضلاً عن أن لها أسبابها التي أنسنت فيها من لدن أولئك الشعراء، كما سنرى.

وكما أن الزمن مطبوع على الغدر والخيانة



كما أسلفنا سابقاً - في مبحث الزمن - فذلك النعيم هو مجبول على الخيانة، فالخيانة صفة لا تفارق النعيم، إلى درجة جعلت الأعشى يتصور ان النعيم خائن لأبي مالك في قوله:

وَخَانَ النَعِيمُ أَبَا مَالِكٍ

وَأَيُّ امْرِئٍ لَمْ يَخُنْهُ الزَّمَنُ^(٣٧)
وفي خطاب شعري آخر نجد ان الأعشى يجعل الصنج تعزف وتنادي كقوله:
وَإِذَا الْمُسْمَعُ أَفْنَى صَوْتَهُ عَزَفَ
الصنْجُ فَنَادَى صَوْتُهُ^(٣٨)

ويبدو أن الشاعر لم يجعل عزف الصنج وندائه إلا بسبب العلاقة القوية بين الصنج والشاعر، فقد عُرف الأعشى بين قومه بصناعة العرب^(٣٩)، فهي وسيلة إنشاده للشعر، وفضلاً عن ذلك يستخدمها الشاعر أمام المستمعين والممدوحين فيقبلون على سماع أشعاره لمعرفتهم بجود شعره فيغدقون عليه بالثناء والهدايا فهي وسيلة تكسبه في الحياة. لذا لا نجد غرابة في نداء الصنج، وحديثها عن فخر الشاعر بنفسه، لأنها تنادي بذلك فعلاً، وان لم تتكلم حقيقة.

وربما أفاد الأعشى من فكرة أنسنة الصنج، إذ نراه يجعل اللحن يطيع، وذلك من خلال قوله:

وَإِذَا مَا غَضَ مِنْ صَوْتَيْهِمَا وَأَطَاعَ اللِّحْنَ غَنَانًا مُغَنَّ^(٤٠)

ولما كانت الالحان طواعية للملحن أو المغني، جعلها الأعشى هنا مطيعة أوامر ذلك الملحن أو المغني، من دون أي اعتراض، فهي تطيعه حين يأمرها لتكون بذلك أداة من الأدوات المسخرة بيده، من أجل تحقيق

مكاسب مادية أكثر وشهرة وذيوع صيته في أكثر الأحيان.

وكانت البلايا التي تصادف بعض الشعراء، أسباباً تدعوهم إلى أنسنتها في بعض الأحيان، إلا أن تلك الأنسنة تختلف من شاعر إلى آخر، فمنهم من يؤنسنه حينما يفقد من يعز عليه فقدته، وذلك ما نجده في قول عنترة الذي يجعل فيه للبلى أيدي تنال ديار محبوبته من خلال أسلوب مليء بالحزن والألم يقول عنه:

لَمَنْ ظَلَلْ بِالرَّقْمَتَيْنِ شَجَانِي وَعَاثَتْ بِهِ أَيْدِي الْبَلَى فَحَكَانِي^(٤١)

الخاتمة

توصلت من خلال دراستي لأنسنة المعنويات والعواطف في هذا البحث إلى:

- إن أكثر تلك المعنويات - التي وصلت إلى عشرات المصطلحات - كانت تؤنسن، وتكتسب سمات الإنسان في مختلف أغراض الشعر المديح والرثاء والفخر والغزل، ويبدو ان سبب أنسنتها - من لدن الشعراء الجاهليين - في تلك الأغراض يكمن في المعنويات نفسها، إذ أنّ كثيراً منها يدلّ على غايات عليا، وقيم سامية، مثل الجود والصبر وغيرها من المعنويات التي تحدثنا عنها في هذا البحث.

- أفاد الشعراء من أنسنة المعنويات والعواطف المختلفة في مدائحهم ومراثيهم، وفخرهم وغزلهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى، كانت هناك بعض المعنويات لا تؤنسن إلا في غرض الغزل فقط، مثل الحب والهوى والشوق والطيّف، وعلّت ذلك في كون الشاعر يتجه إلى المرأة وباتجاهه ذلك تأتي هذه

المعنويات مؤنسة لإظهار المبالغة في حبه لها ولبيان حاله من خلال إسقاط مشاعره على هذه المعنويات، وإضفاء بعض السمات الإنسانية عليها والارتقاء بها إلى درجة الطبيعة الإنسانية.

- اتضح لنا إن المعنويات والعواطف التي أنسناها الشعراء كانت متعددة في الصياغات الشعرية، إذ كانت ترمي إلى غايات متعددة، ومتباينة في مضامينها كما رأينا من خلال استقراء دواوين الشعراء وما تم اختياره من هذه النصوص المؤنسة للمعنويات الشاخصة على هيئة إنسان بكل ما يجسده الإنسان من معانٍ وما يحمله الإنسان من مشاعر إنسانية.

الهوامش

- (١) ديوان النابغة الذبياتي، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم: ص ٢٠.
 - (٢) التشخيص في الشعر العباسي، د. ثائر سمير الشمري: ص ٣١٠، ٣٤٤.
 - (٣) الموروث الشعري واقعيته وفنيته، د. احمد اسماعيل النعيمي: ص ١٨٧.
 - (٤) مختارات شعراء العرب، ابن الشجري، تحقيق: محمد علي النجاوي: ص ١٥٦.
 - (٥) ديوان اوس بن حجر، تحقيق: د. محمد يوسف نجم: ٥٣، ينظر: ديوان بشر بن ابي خازم، تحقيق: د.عزة حسن: ص ١٢٤.
 - (٦) ديوان لبيد بن ربيعة العامري (دار صادر): ص ١٤١.
 - (٧) ديوان الخنساء، شرح: حمدو طماس: ص ٧٣.
 - (٨) كتاب الاغانى، الاصبهاني: ص ١٥.
 - (٩) ديوان المرقشين، تحقيق: كارين صادر: ص ٤٣.
- (١٠) ديوان عمرو بن قميئة، تحقيق: خليل ابراهيم العطية: ص ٧٨.
- (١١) ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: درية الخطيب: ص ٤٠.
- (١٢) ديوان الاعشى الكبير، شرح وتعليق: محمد محمد حسين: ص ١٦٩.
- (١٣) ديوان لبيد بن ربيعة العامري (دار صادر): ص ١٣١.
- (١٤) ديوان لبيد بن ربيعة العامري (دار صادر): ص ١٥٧.
- (١٥) ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم: ص ٣١.
- (١٦) ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم: ص ٨٥.
- (١٧) ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم: ص ١١٥.
- (١٨) شرح ديوان عنتره، تحقيق: مجيد طراد: ص ٦٦.
- (١٩) ديوان طفيل الغنوي، تحقيق: حسن فلاح اوغلي: ص ١٤٦.
- (٢٠) شرح ديوان عنتره، تحقيق: مجيد طراد: ص ١٩٨.
- (٢١) شرح ديوان عنتره، تحقيق: مجيد طراد: ص ٥٤.
- (٢٢) شرح ديوان عنتره، تحقيق: مجيد طراد: ص ٦٦.
- (٢٣) ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق: محمد جبار المعبيد: ص ١٠٢.
- (٢٤) ديوان لبيد بن ربيعة العامري (دار صادر): ص ١١٧.
- (٢٥) شرح ديوان عنتره، تحقيق: مجيد طراد: ص ١٤١.
- (٢٦) شرح ديوان عنتره، تحقيق: مجيد طراد: ص ١٨٧.

- (٢٧) شرح ديوان عنتره، تحقيق: مجيد طراد: ص١٩٨.
- * إبراهيم، محمد أبو الفضل. (١٩٥٨). ديوان امرئ القيس (ط.٤). القاهرة: دار المعارف.
- (٢٨) شرح ديوان عنتره، تحقيق: مجيد طراد: ص٧٢.
- * ابن الشجري، هبة الله بن علي المعروف. (١٩٩٢). مختارات شعراء العرب (ط.١). تحقيق محمد علي البجاوي، بيروت: دار الجيل.
- (٢٩) شرح ديوان عنتره، تحقيق: مجيد طراد: ص١٧.
- * الاصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين. (د.ت). كتاب الأغاني (د.ط.). تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت: مؤسسة جمال للطباعة والنشر.
- (٣٠) ينظر: قواعد النقد الادبي، لاسل آير كرومبي، ترجمة: د. محمد عوض: ص ٤٥.
- (٣١) ديوان الاعشى الكبير، شرح وتعليق: محمد محمد حسين: ص ١٢٩.
- * أوغلي، حسان فلاح. (١٩٩٧). ديوان طفيل الغنوي (ط.١). بيروت: دار صادر.
- (٣٢) ديوان الاعشى الكبير، شرح وتعليق: محمد محمد حسين: ص ١٩٥.
- * ايركرومبي، لاسل. (١٩٨٦). قواعد النقد الأدبي (د. محمد عوض، مترجم). بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
- (٣٣) شرح ديوان عنتره، تحقيق: مجيد طراد: ص٣٥.
- (٣٤) ديوان الهذليين (دار صادر): ص ١١٧.
- (٣٥) ديوان الخنساء، شرح: حمدو طماس: ص ١٢٠.
- * حسن، د.عزة. (١٩٦٠). ديوان بشر بن أبي خازم الاسدي (د.ط.). دمشق: مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم .
- (٣٦) ديوان حاتم الطائي، شرح: احمد رشاد: ص٣١.
- (٣٧) ديوان الاعشى الكبير، شرح وتعليق: محمد محمد حسين: ص ١٥.
- * حسين، د. محمد محمد. (د.ت). ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس). المطبعة النموذجية .
- (٣٨) ديوان الاعشى الكبير، شرح وتعليق: محمد محمد حسين: ص ٣٥٩.
- * الخطيب، درية، والصقال، لطفي. (٢٠٠٠). ديوان طرفة بن العبد (ط.٢). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- (٣٩) « انما سُمِّي الاعشى صناجة العرب؛ لانه اول من ذكر الصنح في شعره.. بل سُمِّي صناجة لقوة طبعه، وحبية شعره» .
- (٤٠) ديوان الاعشى الكبير، شرح وتعليق: محمد محمد حسين: ص ٣٥٩.
- * رشاد، احمد. (٢٠٠٢). ديوان حاتم الطائي (ط.٣). بيروت: دار الكتب العلمية.
- (٤١) شرح ديوان عنتره، تحقيق: مجيد طراد: ص١٩٨.
- * الشمري، د. ثائر سمير. (٢٠١٢). التشخيص في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري دراسة نقدية (د.ط.). عمان - الأردن: دار صفاء للنشر والتوزيع.
- * إبراهيم، محمد أبو الفضل. (د.ت). ديوان النابغة الذبياني (ط.٢). القاهرة: دار المعارف.

المصادر والمراجع

- * إبراهيم، محمد أبو الفضل. (د.ت). ديوان النابغة الذبياني (ط.٢). القاهرة: دار المعارف.
- * صادر، كارين. (١٩٩٨). ديوان المرقشين (ط.١). بيروت: دار صادر.



- * طراد، مجيد. (١٩٩٢). شرح ديوان عنتر (ط.١). بيروت: دار الكتاب العربي.
- * طماس، حمدو. (٢٠٠٤). ديوان الخنساء (ط.٢). بيروت: دار المعرفة.
- * العطية، خليل إبراهيم. (١٩٧٢). ديوان عمرو بن قميئة (د.ط.). بغداد: دار الحرية للطباعة.
- * القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق. (١٩٧٢). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده (ط.٤). تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: دار الجيل.
- * المعبيد، محمد جبار. (١٩٦٥). ديوان عدي بن زيد دجلة. العبادي (د.ط.). بغداد: دار الجمهورية للنشر والطبع.
- * مؤلفين، مجموعة. (١٩٩٥). ديوان الهذليين (ط.٢). القاهرة: دار الكتب المصرية.
- * مؤلفين، مجموعة. (د.ت). ديوان لبيد بن ربيعة العامري (د.ط.). بيروت: دار صادر.
- * نجم، د. محمد يوسف. (١٩٧٩). ديوان اوس بن حجر (ط.٣). بيروت: دار صادر.
- * النعيمي، د. احمد إسماعيل. (٢٠١٣). الموروث الشعري واقعيته وفنيته (ط.١). عمان - الأردن دار

Humanized morale and emotions in pre-Islamic Arabic poetry

By: Dr. Suadad Yousif Abdul-Ridha Al-Humairi

The General Directorate of Baghdad Education, Al-Karkh, the second

Abstract

Humanization of human morale and emotions was a prominent feature in the relationship of poets with them, which was embodied by imparting human qualities to them - through humanization - so they saw them in the form of a human being speaking, mobile, and full of human feelings and sensations. Humanization emerged in Arab poetry before Islam on morale and was not limited to it, but included even human emotions.

The research aims to highlight those spirits - which have reached dozens of terms - were humanized, and acquire human traits in various purposes of poetry, praise, pride, and spinning, and it seems that the reason for humanizing them - from the pre-Islamic poets - in those purposes lies in the spirits themselves, as many of them It indicates supreme goals, lofty values, such as generosity, patience, etc., and how poets benefited from the humanization of different spirits in their praises, legacies, pride, and spinning.

It also aims to clarify the motives behind the poet's humanization of human emotions and emotions in their poems, and the impact of that on their poems, so they broadcast in those poems the finest and most wonderful feelings.

The research includes the following axes: introduction, introduction, human morale and emotions, an intellectual vision, and the first axis of the research... Humanization of the soul, and the second axis... Humanization of love, passion and longing, the third axis... Humanization of the spectrum and imagination, the fourth axis... Humanization of patience and quality, Up to the conclusion, and established names of sources and references.

Keywords: humanization, morale, emotions, poetry, Arabic, before Islam.

